

□ عينية أبي ذؤيب الهذلي

معجم ودراسة دلالية

د. ندى عبد الرحمن الشايع
كلية الاداب - قسم اللغة العربية
الجامعة المستنصرية

الدراسة

مقدمة /

استشهد علماء اللغة والنحو العربي بأبيات شعرية تنسب الى شعراء يمثلون العصر الجاهلي ، وتعد كتبهم اللغوية والنحوية من أهم مصادر الشعر الجاهلي " فلو قصرنا حديثنا على ما ألف منها في القرنين الثاني والثالث واستخرجنا ما تفرق في صفحاتها من شعر جاهلي وحده ، ثم جمعناه معا لَجَاء كثيراً غزيراً بحيث يملأ أسفاراً عدة " ^(١) فهذا أبو عمر الجرمي ^(٢) يذكر ان في كتاب سيبويه ألفا وخمسين بيتاً أخذها عن شيوخه ونسب الانشاد اليهم بقوله : أنشدنا ، يعني الخليل ، أو أنشدنا يونس ، وكذلك ما يحكيه عن أبي الخطاب وغيره ممن أخذ عنه . وكلها أشعار لم ينكرها من جاء بعده بل قاموا بشرحها وحل مشكلاتها واعرابها كما فعل أبو جعفر النحاس (٣٣٨هـ) في كتابه (شرح أبيات سيبويه) وكان للهذليين سهم كبير في هذه الأشعار ومنهم أبو ذؤيب الهذلي الذي تعد أشعاره من أهم شواهد المعاجم العربية ايضاً ولا سيما معجم لسان العرب لابن منظور (٧١١هـ) الذي لاتخلو مادة من مواده من شواهد شعرية :لأبي ذؤيب الهذلي حصة كبيرة فيها ولا سيما عينيته التي رثى فيها أبناءه الخمسة

(١) مصادر الشعر الجاهلي وقيمتها التاريخية ، ناصر الدين الاسد ، دار المعارف ، مصر ، ١٩٥٦ ، ص ٥٩٢ .

(٢) انظر طبقات النحويين واللغويين ، أبو بكر الزبيدي ، تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم ، ١٩٥٤ ،

ص ٧٧ وانظر كتاب شرح أبيات سيبويه ، ابو جعفر أحمد بن محمد النحاس ت زهير غازي زاهد ،

ط ١ مطبعة الغري الحديثة ، النجف ، ١٩٧٤ ، ص ٢٨ .

الذين هلكوا في عام واحد حين أصابهم الطاعون . وأبو ذؤيب الهذلي شاعر مخضرم أدرك الاسلام وهاجر الى مصر في زمن عثمان بن عفان (رض) وتوفاه الله تعالى في طريقه اليها . وقيل توفي في غزوة افريقية مع ابن الزبير.^(١) وبعد قراءتي للقصيدة العينية وجدت نفسي أتوق لدراستها دلاليا ولا سيما انها قصيدة وجدانية مؤثرة في النفس في أبياتها الأول حتى ينتقل الشاعر في البيت الرابع عشر انتقالة ذكية اذ يربط ما حلَّ به من المصائب بعد فقده لأولاده بما يحل لحمار وحشي تتبعه أتانة من حدثان الدهر الذي لا يترك حيًّا الا ونال شيئا من مصائبه اذ يقول :

(٢)

والدهرُ لا يبقَى على حدَّثانِهِ جَوْنُ السَّراقَةِ له جدائِدُ أُرِيعُ

أو ما يلاقيه ثور مسن يفرع عند الصبح لأن الصيَّاد يباكرونه بالكلاب اذ

يقول:^(٣)

والدهرُ لا يبقَى على حدَّثانِهِ شَبَبُ أَقرَنَتِهِ الكِلابُ مُـرَوَّعُ

وحتى السيد المقتنع الشاك السلاح لايفلت من مصائب الدهر رغم حيطة اذ

يقول:^(٤)

والدهرُ لا يبقَى على حدَّثانِهِ مُسْتَشْعِرُ حَلَقِ الحَديدِ مُقَنَّعُ

رصدت الفاظ هذه القصيدة ووزعتها على محاور دلالية تمثل الانسان وما

يتعلق به والبيئة وما يتعلق بها وسأحاول دراسة تلك الألفاظ كل في محوره الدلالي دراسة دلالية تستند على الدلالة المعجمية أولاً وما يحيط تلك الدلالة من ظلال معان تستشف من السياق ثانياً مع مراعاة المصاحبات اللغوية والعلاقات الدلالية

(١) انظر معجم الادباء ، ياقوت الحموي ، ط الاخيرة ، دار احياء التراث العربي ، بيروت / لبنان د.ت ،

٨٩/١ ، وانظر تاريخ الادب العربي / عمر فروخ ، دار العلم للملايين ، بيروت ١٩٨٤ ، ٢٩١/١ .

(٢) ديوان المفضليات ، المفضل الضبي ، شرح أبي محمد الانباري ، ت كارلوس يعقوب لایل ، مطبعة

الاباء اليسوعيين ، بيروت ، ١٩٢٠ ، ص ٨٥٨ .

(٣) ديوان المفضليات ص ٨٧١ .

(٤) المصدر السابق نفسه ، ص ٨٧٦ .

التي يقع فيها . ويلحق الدراسة معجم كامل لألفاظ العينية يبين دلالاتها المعجمية كما أرادها الشاعر مصدرها الأول لسان العرب لابن منظور (٧١١هـ) وديوان المفضليات لأبي العباس المفضل الضبي () وشرح أشعار الهذليين لأبي سعيد السكري (٢٩٠) أو (٢٧٥) .

وختاماً أرجو من الله سبحانه وتعالى أن يوفقني ويسدد خطاي في كل نهج أنهجه في هذا البحث ليضاف الى اسهاماتي السابقة في دراسة لغة الشعر الجاهلي والقرآن الكريم . ومن الله التوفيق .

(١)

(الالفاظ الخاصة بالانسان وما يتعلق به)

ويشمل هذا المحور الدلالي المحاور الفرعية الآتية:

- ١- الألفاظ الدالة على أعضاء جسم الانسان .
- ٢- الالفاظ الدالة على القرابة.
- ٣- الالفاظ الدالة على السلاح وما يتعلق به .
- ٤- الالفاظ الدالة على الموت والحياة .

- الالفاظ الدالة على أعضاء جسم الانسان -

ويمكن تصنيف ألفاظ هذا المحور الى ما يأتي :

- ١- الألفاظ الخاصة بالرأس : وتضم هذه المجموعة الألفاظ (الوجه- العين - والحدقة) ويضاف اليها لفظتا (عبْرَة ، وعُور) .
- فالوجه مشترك بين الانسان والحيوان وهو المُحيّا واستعمله الشاعر مرة واحدة في سياق وصفه الفارس اللابس الدرع اذ يقول :

حَمَيْتْ عَلَيْهِ الدَّرْعُ حَتَّى وَجْهَهُ مِنْ حَرِّهَا يَوْمَ الْكَرْيَةِ اسْفَعُ

(١) ٨٧٧/٥٠

(١)الرقم الذي في الاعلى يشير الى رقم البيت ثم الصفحة في ديوان المفضليات والرقم الذي في الأسفل يشير الأول الى رقم البيت والثاني الى رقم الصفحة في شرح أشعار الهذليين .

٣٣/٥٠

فحرارة الدرع تحرق وجهه لابسها فيصبح محمراً مشرباً سواداً لا كما جاء في المعجمات العربية سواد مشرب حمرة في تحديد دلالة (أسفع) لأن الحمرة هي الغالبة على السواد حتى في تعرض الوجه لاشعة الشمس ومن معاني (السَفْع) نوع من السواد ليس بالكثير ويبدو لي ان الشاعر أراد أمرين من ذكر لابس الدرع ، الأول أن الدرع لا يقي الفارس المقدام هول مصائب الدهر ولا سيما المتمثلة في نوازل الحرب وشدتها ومفاجأتها والثاني التأكيد على طول المدة الزمنية لارتدائه الدرع حتى صار اشعاعها الحراري الذي اكتسبته من شمس الصحراء أكثر تأثيراً على وجهه من حرارة الشمس الحارقة لأنها أكثر التصاقاً به .

وترددت لفظة (العين) مرتين ، في المرة الأولى صاحبت ألفاظاً تتعلق بالعين هي (حِداق ، سُمِلت ، عور ، تدمع) اذ يقول في وصف حاله بعد فقدانه أولاده الخمسة وراثته لهم :

فَالْعَيْنُ بَعْدَهُمْ كَانَ حِدَاقَهَا سُمِلْتُ بِشَوْكٍ فَهِيَ عَوْرٌ تُدْمَعُ

٨٥٦/١٠

٩/١١

يلاحظ ان الشاعر استعمل لفظة (العين) بصيغة الافراد واستعمل (الحديقة) (وهي سواد العين الأعظم) بصيغة الجمع (حِداق) واستعمل (عور) بصيغة الجمع وهذا لا يكون لعيني الشخص الواحد لأن العورَ ذهاب حس احدي العينين والا كان عمى . ويلاحظ ان السَّمَل (وهو فقو العين ويكون بحديدة مُحَمَّاة أو بالشوك) . كما ذكر الشاعر - والعور من صفات الحِداق فالشاعر استعمل العين بصيغة الافراد وأراد بها العينين وما أصابها لا يمكن أن يكون عوراً ولكنه العمى وهو النهاية المحتومة لاجتماع هاتين الصفتين في عيني الفرد الواحد . ويبدو لي ان الشاعر تقصد هذا الاستعمال الغريب الذي يصور العمى لا العور ليصور هول المصيبة التي حلت به بهذا المصاب الجلل .

وفي قوله :

يَرْمِي بَعَيْنَيْهِ الْغُيُوبَ وَطَرْفُهُ مَغْضٍ يُصَدِّقُ طَرْفُهُ مَا يَسْمَعُ

٨٧٢/٣٨

٢٧/٣٩

جاءت (العين) مثناة مرادفة ومصاحبة للفظ (الطرف) وهو (اسم جامع للبصر لا يثنى ولا يجمع لانه في الأصل مصدر) فالفعل (يرمي) لا يصاحب لفظ (العين) الا اذا كانت دالة على الطرف أو البصر لا على حاسة البصر. واستعمل (العبرة) وأراد بها (الدمعة المنهملة) التي تكسب العين سخنة لا (سخنة العين) وحدها كما ذكر الاصمعي ^(١) . فقد تركه أولاده وأورثوه غمًا وغصة وحسرة في نفسه لا تعرف عينه الرقاد ويبقى الليل والناس نيام وأنيسه هذه الدمعة اذ يقول:

أَوْدَى بَنِي وَأَعْقَبُونِي غُصَّةً بَعْدَ الرَّقَادِ وَعَبْرَةً لَا تُقْلَعُ

٨٥٢/٥

٦/٥

لاحظ ان (العبرة) في هذا البيت هي (الدمعة المنهملة) لمصاحبته الفعل (تعلق) الذي يدل على (الكف) وكثيراً ما يستعمل مع المطر المنهمر أو السحابة ذات المطر الكثير كقوله تعالى ^(٢) " وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي " أو قول الحادرة ^(٣) :

ظلم البطاح له انهلال حريصة فصفا النطاف له بعيد المقلع

٢- الألفاظ الخاصة بالصدر والبطن : ويضم هذا المحور لفظتا (الجنب ، والفؤاد) .

(1) ديوان المفضليات ، ص ٨٥٣

(2) سورة هود رقمها (١١) آية (٤٤)

(3) تاج العروس من جواهر القاموس ، محب الدين الزبيدي ، دار ليبيا للنشر والتوزيع ، بنغازي ،

١٩٦٦ ، ٤٨١/٥ مادة [ق ل ع] .

واستعمل الشاعر أولاً لفظة (الجسم) الدالة على (جماعة البدن أو الأعضاء) في مطلع رثائه لأبنائه حيث بدا الشحوب والهزال عليه واضحاً وأهمل نفسه وترك الزينة لحزنه عليهم . وتحمل عناء العمل وحده دون أن يكون هناك من يشد أزره ويكفيه عناء هذا العمل وماله كثير يستطيع ان يشتري من يحمل عنه هذا العناء . اذ يقول :

قَالَتْ أُمَيْمَةٌ مَا لِحِسْمِكَ شَاحِبًا مُنْذُ ابْتُذِلْتَ وَمِثْلُ مَا لِكَ يَنْفَعُ

٨٥١/٢

٥/٢

يبدو لي ان الشاعر في هذا البيت أراد أن يبين ان الابناء أهم وأقرب الى نفسه من المال الذي يذكر قبل الابناء في القرآن الكريم في أكثر من موضع ^(١) وكلاهما زينة الحياة الدنيا كما في قوله تعالى " المال والبنون زينة الحياة الدنيا " ^(٢) وورد الفؤاد مرة واحدة في قوله :

شَعَفَ الْكِلَابُ الضَّارِيَاتُ فَوَادُهُ فَإِذَا رَأَى الصَّبْحَ الْمُصَدَّقَ يَفْزَعُ

٨٧١/٣٦

٢٦/٣٧

قصد الشاعر فؤاد الثور الذي باكره الصياد عند الصبح والفؤاد مرادف للقلب ويكون للانسان وغيره من انواع الحيوان الذي له قلب . وقيل هو وسط القلب . وأرى ان الفؤاد يحمل معنى أكبر من القلب لانه مركز العواطف والانفعالات الاخرى كالفزع والهلع كما يظن الناس . وما سمي بالفؤاد الا لتفؤده وتوقده .

ووردت لفظة (الجنب) الدالة على (شق الانسان وغيره) ثلاث مرات في قوله :

(١) انظر سورة الشعراء رقمها ٢٦ آيه ٨٨ ، سورة القلم رقمها ٦٨ آيه ١٤ ، الكهف رقمها ١٨ آيه ١٩

(٢) سورة الكهف رقمها ١٨ ، آيه ٤٦ .

أَمْ مَا لِحَنْبِكَ لَا يَلَاثِمُ مَضْجَعاً إِلَّا أَقْضَى عَلَيْكَ ذَاكَ الْمَضْجَعُ

٨٥١/٣

٣/٥

وقوله:

سَبَقُوا هَوًى وَأَعْنَقُوا لَهُوَاهُمْ فَتَخَرَّمُوا وَلِكُلِّ جَنْبٍ مَصْرَعٌ

٨٥٤/٦

٧/٧

وقوله:

فَصَرَعَنَّهُ تَحْتَ الْغُبَارِ وَجَنْبُهُ مُتَتَرَّبٌ وَلِكُلِّ جَنْبٍ مَصْرَعٌ

٨٧٥/٤٤

يلاحظ في البيت الأول مصاحبة لفظة (المَضْجَع) لفظة (الجَنْب) وتكرارها فجاءت نكرة في المرة الاولى للدلالة على أي مضجع ومعرفة للمرة الثانية لتحديد ذلك المضجع . و اراد الشاعر بيان هروب النوم من عينيه وان غير مضجعه وجاء تأكيد هذا المعنى باستعماله اسلوب الاستفهام فهذه اميمة تسأله عن طول السهاد فهل من حصي تحت جنبك يقلقك ويمنعك النوم .

في البيتين الثاني والثالث صاحبت لفظة (الجنب) لفظة (المصراع) للدلالة على الموت الذي لا يترك احدا . فكل من ترى يموت فأطلق عبارة (لكل جنب مصراع) في البيت الثاني وقصد به موت ابنائه وفي البيت الثالث قصد نهاية الثور الذي صرعه الكلاب فالنتيجة واحدة هي الموت الذي لا يفرق بين كل المخلوقات فهو النهاية المحتومة التي لامفر منها .

٣- الألفاظ الخاصة بالأطراف : وتضم الألفاظ (الأذرع ، الكف ، الاصبع ، الأظفار) .

استعمل لفظة (الأذرع) جمع (ذراع) وأراد بها أذرع الحمير التي أصابها سهام كثيرة من قانص متحرّم بثوبه مترصد لها بحذر شديد حتى لا يخطيء هدفه

فباتت الحمير تعثر والسهام فيهن وطرائق الدم على أذرعها تشبه طرائق البرود
اليزيدية لأن فيها حمرة اذ يقول :

يَعْتُرْنَ فِي حَدِّ الظَّبَاتِ كَأَنَّمَا كُسَيْتَ بُرُودَ بَنِي تَزِيدَ الْأَذْرُعُ

٨٧٠/٣٤

٢٥/٣٥

(والكف) استعملت أربع مرات في قوله :

وَكَأَنَّمَا هُوَ مِدْوَسٌ مُتَقَلِّبٌ فِي الْكَفِّ إِلَّا أَنَّهُ هُوَ أَضْلَعُ

٨٦٤/٢٤

١٩/٢٥

وقوله:

وَنَمِيمَةٌ مِنْ قَانِصٍ مُتَلَبِّبٍ فِي كَفِّهِ جَشَاءٌ أَجَشُّ وَأَقْطَعُ

٨٦٦/٢٨

٢١/٢٩

وقوله :

فَبَدَا لَهُ رَبُّ الْكِلَابِ بِكَفِّهِ بَيْضُ رَهَابٍ رِيشُهُنَّ مَقْرَعُ

٨٧٥/٤٦

٣١/٤٦

وقوله:

وَكِلَاهُمَا فِي كَفِّهِ يَزْنِيَّةٌ فِيهَا سِنَانٌ كَالْمَنَارَةِ أَصْلَعُ

٨٨٢/٦٠

٣٨/٦٠

في البيت الاول أراد الشاعر كف الصيقل التي تحرك الحجر الذي يصقل
به السيف وفي البيتين الثاني والثالث جاءت لفظة (الكف) مضافة الى (الهاء)
ضمير الغائب المفرد والذي يعود على القانص الذي يلاحق الحمير في البيت الثاني

والثور في البيت الثالث . اما الرابع فتعود الكف الى متبارزين كفوءين كل يحمل في كفه رمحا حادا يطعن به غريمه ويغلبه فيذهب بمجده وذكره .
وذكر الاصْبَع في سياق وصفه فرس الفارس اللابس الدرع الذي حبس اللبن لها ليسقيها فخلط لحمها بالشحم حتى أنك لو غمرت فيه الاصبع لم تبلغ العظم اذ يقول:

قَصَرَ الصَّبُوحَ لَهَا فَشَرَّحَ لَحْمُهَا بَالْنِي فَهِيَ تَشْوُخُ فِيهَا الإِصْبَعُ

٨٧٨/٥٢

٣٣/٥٢

واستعمل (الأظفار) جمع (ظُفْر) مرة واحدة في قوله :

وَإِذَا الْمَنِيَّةُ أَنْشَبَتْ أَظْفَارَهَا أَلْفَيْتَ كُلَّ تَمِيمَةٍ لَا تَنْفَعُ

٨٥٥/٩

٨/١٠

يلاحظ أن الشاعر جعل للمنية أظفاراً والأظفار لا تكون الا للانسان وغيره من الاحياء وصاحبها بالفعل (أنشب) وهو بهذا شبهها بالسَّبْع الذي تعلق مخالفه في الأخيذة فلا يفارقها حتى يعض. فكذلك المنية تعلق بمن تريد فلا تغني التميمة شيئا عنه .

- الألفاظ الدالة على القرابة-

أن ألفاظ القرابة في عينية أبي ذؤيب الهذلي تتمثل في ثلاثة ألفاظ هي (أب ، آل ، ابن).

فقد استعمل الشاعر لفظة (آل) الدالة على عشيرة الرجل وذوي قرباه وهي بهذا مرادفة للفظ (أهل) وفي المعاجم خص بها أهل الرجل وعياله ويبدو لي أن المطلوب اسرته لا عشيرته ، وصاحبها لفظة (أب) مضافة الى اسم علم هو (ربيعه) وقيل انه من بني عامر اذ يقول:

صَخْبُ الشَّوَارِبِ لَا يَزَالُ كَأَنَّهُ عَبْدُ لَالٍ أَبِي رَيْبَعَةٍ مُسْبَعُ

٨٥٨/١٥

١٢ / ١٦

فهذا الحمار كثير النفاق كأنه عبدٌ أهمل مع السباع لخُبثه فتركه أهله
يعمل ما يشاء.

ووردت لفظة (ابن) ثلاث مرات في قوله :

فَأَجَبْتُهَا أَمَّا لِحَسْمِي أَنَّهُ أَوْدَى بَنِيَّ مِنَ الْبِلَادِ فَوَدَّعُوا

٨٥٢/٤

٦/٤

أَوْدَى بَنِيَّ وَأَعْقَبُونِي غُصَّةٌ بَعْدَ الرَّقَادِ وَعَبْرَةٌ لَا تَقْلَعُ

٨٥٢/٥

٦/٥

يَعْتَرُنْ فِي حَدِّ الطُّبَاتِ كَأَنَّمَا كُسَيْتَ بُرُودَ بَنِي تَزِيدَ الْأَذْرُعُ

٨٧٠/٣٤

٢٥/٣٥

في البيتين الاول والثاني جاءت لفظة (ابن) مضافة الى الضمير الياء الدال
على التملك والخاص بالشاعر في سياق رثائه لابنائه الخمسة الذين كان آخر
عهدهم أن ودَّعوا أي ذهبوا وماتوا . أما البيت الثالث فيبدو لي انه أراد قبيلة يزيد
أو يزيد وكانوا تجارا بمكة وهم من قضاة^(١)

- الألفاظ الدالة على السلاح وما يتعلق به -

ويضم هذا المحور ألفاظاً دالة على الرماح والسهام والسيوف والأقواس
والدروع مثل (بيض ، حدُّ الطُّبَاتِ ، حَلَقُ الحديد ، الدرع ، ذو رونق ، جشء

(1) انظر ديوان المفضليات ص ٨٧٠

أجش، ربابة، الرهب، القداح، سهم، ريش، سوابغ، مسرودة، سنان،
العَضْب، أقطُع، قنّاة، كماء، كنانة، منزع).

أطلق الشاعر لفظة (بيض) جمع (أبيض) للدلالة على السهام الرقاق ذات
النصال البيض البراقة المتلألئة في سياق وصفه للصيد الذي يلاحق الثور
لاصطياده اذ يقول:

فَبَدَأَ لَهُ رَبُّ الْكِلَابِ بِكَفِّهِ بِيضُ رَهَابٍ رِيْشُهُنَّ مُقْـ|ـزَعٌ

٨٧٥/٤٦

٣١/٤٦

و (الأبيض) كثيراً ما يطلق على السيف دون غيره من السلاح^(١) وقد ورد في
قول عنتره^(٢):

نَادَيْتُ عَبْسًا فَاسْتَجَابُوا بِالْقَنَا وَبِكَلِّ أَبْيَضَ صَارِمٍ لَمْ يَنْجَلِ

أو الجمع (بيض) الدالة على السيف أبيضاً في مثل قول النابغة الذبياني^(٣):

فَهُمْ يَسَاقُونَ الْمَنِيَّةَ بَيْنَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ بِيضُ رِقَاقٍ الْمَضَارِبِ

أو قول الأعشى^(٤):

شُطِبَ مِنَ الْبَيْضِ الذِّكَارَةُ ذِي.....

وجاءت لفظة (بيض) جمع بيضاء للدلالة على الدرع البراقة في قول زهير بن
أبي سلمى^(٥):

عَلَيْهَا أَسُودُ ضَارِيَاتُ لُبُوسُهُمْ سَوَابِغُ بِيضٍ لَا يَخْرِقُهَا النَّبْلُ

(1) راجع معجم ألفاظ الحياة الاجتماعية في دواوين شعراء المعلقات العشر، ندى عبد الرحمن الشايع،
مكتبة لبنان، بيروت، ط أولى ١٩٩١، ص ٢٩ مادة [ب ي ض]، ولامية العرب للشنفرى معجم
ودراسة دلالية، ندى عبد الرحمن الشايع، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، ط أولى، ٢٠٠٨ ص ٥٥
مادة [ب ي ض].

(2) ديوان عنتره، تحقيق سعيد مولوي، المكتب الاسلامي ١٩٧٠، ص ٢٤٨.

(3) ديوان النابغة الذبياني، تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم، دار المعارف، القاهرة. د. ت ص ٤٤.

(4) ديوان الأعشى الكبير، شرح وتعليق محمد حسين، مكتبة الاداب، القاهرة. د. ت ص ١٥٩.

(5) ديوان زهير بن أبي سلمى، صنعة الامام أبي العباس ثعلب، نسخه مصورة عن مطبعة دار الكتب،
الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٦٤، ص ١٠٣.

واستعيرت لفظة (أبيض) للدلالة على (الرجل النقي العَرَض) عند شعراء يمثلون العصر الجاهلي مثل زهير بن أبي سلمى في قوله ^(١) :

وَأَبْيَضُ فَيَاضٍ يَدَاهُ غَمَامَةٌ عَلَى مُعْتَفِيهِ مَا تَغِبُّ نَوَافِلُهُ

يبدو لي ان السلاح البراق يوصف بالبياض مهما كان نوعه لتألّثه ولكن هذه الصفة لازمت السيف أكثر من غيره فغلبت عليه فصارت من اسمائه وهذا كثير في لغة العرب من باب غلبة الصفة على الموصوف حتى تصير من اسمائه كما هو الحال في اسماء الأسد ، والخمرة ، والابل ، والخيول .

واستعمل الشاعر للدلالة على السيف صفتين من صفاته دون ان يستعمل الموصوف (السيف) وهما (عَضْبٌ) للدلالة على السيف القاطع و (ذو رونق) ورونق السيف ماؤه وصفائه وحسنه في سياق وصفه لفارسين متكافئين في القوة والشجاعة كل منهما يريد ان يغلب الآخر فيذهب بمجده وذكره اذ يقول :

وَكِلَاهُمَا مُتَوَشِّحٌ ذَا رَوْنَقٍ عَضْبًا إِذَا مَسَّ الضَّرِيْبَةَ يَقْطَعُ

٨٨٢/٦١

٣٨/٥٩

يلاحظ أن الشاعر أراد أمرين الاول كفاءة الفارسين وحملهما سلاحاً يمتاز بالقوة نفسها والامر الثاني هذه القوة لا تتأتى لهذا السلاح الا بقوة ضاربة فاذا مسّت الضريبة لاتخطئها فهي مقطوعة لا محالة باستعماله جملة (اذا مسّ الضريبة يقطع) اذ أراد تأكيد صفة القطع في هذا السيف البراق المصقول .
والسهم ورد مرتين في قوله :

فَرَمَى فَأَنْقَضَ مِنْ نَجْوٍ عَائِطٍ سَهْمًا فَخَرَّ وَرِيشُهُ مُتَصَمِّعٌ

٨٦٨/٣٠

٢٢/٣١

فَرَمَى لِيُنْقِذَ قَرَاهَا فَهَوَى لَهُ سَهْمٌ فَأَنْقَضَ طَرْتِيَهُ الْمُنْزَعُ

٨٧٦/٤٧

(١) المصدر السابق نفسه ص ١٣٩

٣١/٤٧

لاحظ من مصاحبات السهم الفعلين (رمى) والفعل (أنفذ) الدال على مخالطة السهم جوف الرميّة وخروج طرفه من الشق الآخر وهذا يدل على دقة في الاصابة حتى ان ريش السهم في البيت الاول انضم لتلطخه بالدم وفي البيت الثاني جمع الشاعر بين السهم ومرادفه (المنزّع) وهو السهم الذي يُنزع به فهو في سياق وصفه لصاحب كلاب يلحق ثوراً وحشياً فقتل الثور كلابه بالطعن فبقيت منها بقية فرماه ليشغله عنها ولعل القافية والوزن حتما عليه هذا الاستعمال .

وجاءت لفظة (الربابة) مرادفة ومصاحبة للفظه (القداح) وهي جماعة السهام . وقيل ان الربابة أصلاً هي شبيهة بالكنانة يجمع فيها سهام الميسر والقداح تسمى بها السهام قبل ان تنصل أو تراش اذ يقول الشاعر في سياق وصفه حماراً وحشياً يقود الأتن :

وَكَأَنَّهُنَّ رِبَابَةٌ وَكَأَنَّهُ يَسْرِيْفِيضُ عَلَى الْقِدَاحِ وَيَصْدَعُ

٨٦٣/٢٣

١٨/٢٤

فشبه الأتن في اجتماعهن باجتماع القداح في اليد والحمار بصاحب الميسر الذي يضرب بالقداح فهو يُرسلها ويدفعها كما يفعل صاحب الميسر بقداحه . وجمع الشاعر بين (الأقطع) وهي السهام العريضة أي ذات النصل القصير العريض وبين صفتين من صفات القوس الاولى (جَشء) الدالة على خفتها والثانية (الأَجَش) الدالة على صوتها الغليظ للدلالة عليها واستغنى بهاتين الصفتين عن ذكرها في سياق وصفه قانصا يتربص للحمار الوحشي واته اذ يقول :

وَنَمِيْمَةٌ مِنْ قَانِصٍ مُتَلَبِّبٍ فِي كَفِّهِ جَشءٌ أَجَشُّ وَأَقْطُعُ

٨٦٦/٢٨

٢١/٢٩

يبدو أن القوس يعرف بصفة (جَشء) لأن أصل معناه القضيب من النبع الخفيف ومنه تصنع الأقواس وبـ (الأَجَش) لان فيها بَحح (وكان أخف لسهمها

من أن تكون صِلادة كأنها ترنم في صوتها ^(١) ومن السلاح (الرمح) إذ نسبه الشاعر الى ذي يزن وهو أول من عمل له الاسنة ^(٢) فيقال رمح يزني إذ يقول :

وَكِلَاهُمَا فِي كَفِّهِ يَزْنِيَّةٌ فِيهَا سِنَانٌ كَالْمَنَارَةِ أَصْلَعُ

٨٨٢/٦٠

٣٨ /٦٩

لاحظ ان الشاعر وصف القناة وهي المرادف للرمح باليزنية لانه جاء بها مؤنثة وحدد جزأها الحاد وهو السنان الذي يطلق على كل الرمح من باب تسمية الكل بالجزء ووصفه لصقالته وملاسته كالمصباح لاصداً عليه .

وجاءت لفظة (القناة) في سياق وصفه لأتان طويلة في قوله :

أَكَلَ الْجَمِيمَ وَطَاوَعَتْهُ سَمَحَجٌ مِثْلُ الْقَنَاءِ وَأَزَعَلَتْهُ الْأَمْرُ

٨٥٩/١٦

١٣/١٧

يبدو لي ان الشاعر أراد باستعماله لفظة (القناة) معنى الاستواء لان من معانيها العصا المستوية فهذه الأتان طويلة على وجه الأرض . ليس بارتفاع في السماء . وفي وصفه للفارس الشاكي السلاح استعمل مكونات الدرع للدلالة عليه (حلق الحديد) في قوله :

وَالدَّهْرُ لَا يَبْقَى عَلَى حَدَثَانِهِ مُسْتَشْعِرٌ حَلَقَ الْحَدِيدِ مُقَنَّعٌ

٨٧٦/٤٩

٣٣/٤٩

واستعمل لفظة (الدرع) وهي (لبوس الحديد) في وصفه لذلك الفارس بقوله :

حَمِيَّتْ عَلَيْهِ الدَّرْعُ حَتَّى وَجْهَهُ مِنْ حَرِّهَا يَوْمَ الْكَرْيَةِ اسْفَعُ

(1) كتاب شرح اشعار الهذليين / صنعة أبي سعيد السكري ، تع عبد الستار احمد فرج ومحمود

شاكر ، القاهرة ، مكتبة دار العروبة. د. ت ٢١/١ .

(2) المصدر السابق نفسه ٣٩/١ .

٨٧٧/٥٠

٣٣/٥٠

الشاعر أنث الدرع باستعماله الضمير (الهاء) للغائبة المؤنثة والعائدة عليها في (حرها) والدرع تذكر وتؤنث . وجمع بين اسمين من أسمائها وهي (المسرودة) وهي الدرع المثقوبة و (السابغة) وهي الدرع الواسعة التي تجرّها في الأرض أو على كعبيك طولاً وسعة) في وصفه لفارسين متكافئين في القوة وما عليهما من سلاح اذ يقول :

وعليهما مسرودتان قضاهما داود أو صنع السوابغ تبّع

٨٨١/٥٩

٣٩/٦١

يلاحظ ان (المسرودة) هي (حلق الحديد) في البيت الأول لأن السرد الحلق ويسرد فيثقب طرفا كل حلقة بالمسمار ويلاحظ ان الشاعر وصف الفارس وغريمه بالكمة لانهما سترتا نفسيهما بالدرع والبيضة ووصفه بالمقنع أي المتغطي بالسلاح فخص الدرع بانها من السوابغ لسعتها فهي تغطي حتى تجر في الارض . وأخيراً وردت الكنانة وهي (جعبة السهام) في سياق وصفه الصائد وهو يمد يده الى كنانته ليأخذ سهماً يرمي به حماراً وحشياً اذ يقول :

فبدأ له أقرب هذا رائغا عجلاً فعيث في الكنانة يرجع

٨٦٨/٣١

٢٣/٣٢

- الالفاظ الدالة على الموت والحياة -

تنوعت الالفاظ الدالة على الموت والهلاك في عينية أبي ذؤيب لكونها قصيدة رثاء كما بينا سابقاً واحتلت المرتبة الاولى على الألفاظ الدالة على الحياة التي تمثلت في لفظ واحد هو (العيش) في مثل قوله :

فغبرت بعدهم بعيش ناصب وإخال أنى لاحق مستتبّع

٨٥٤/٧

٨/٨

وصف حياته بعدهم بانها ذات كدّ وتعب فهي مضنية وشديدة ولكن ما يصبره بانه لاحق بهم وسيلاقي المصير نفسه عاجلاً أو آجلاً . وربما ماحلّ به سيسرع في لحاقه بهم .

وأراد أن يذكر أن الموت لاينجو منه أحد حتى من نال الشرف والسؤدد فانه ملاقيه فلا رادّ له مهما علا في المجد والشرف اذ يقول :

وكلاهما قد عاش عيشةً ماجدٍ وجنى العلاء لو أن شيئاً ينفعُ

٨٨٤/٦٣

٤٠ /٦٣

أي ينفع في دفع المنية وكان الشاعر قد جمع بين المنية والفعل (ينفع) أيضاً للدلالة نفسها في قوله :

وإذا المنية أنشبت أظفارها أفضيت كل تميمّة لاتنفعُ

٨٥٥/٩

٨/١٠

فساوى بين المجد والتميمة (وهي العوذة التي تعلق على الانسان) في عجزهما عن دفع المنية اذا حلت في موعدها الذي شاء الله سبحانه وتعالى فلا نجاة لصاحبيهما .

و (المنية) الموت اذا قدر بوقت مخصوص لايدفع كقول الشاعر :

ولقد حرصت بأن أدافع عنهم فإذا المنية أقبلت لا تدفعُ

٨٥٥/٨

٨/٩

والمرادف للمنية (المنون) و (هو الموت لأنه يَمُنُّ كل شيء يضعفه وينقصه) واستعمله في سياق رثائه لأبنائه الخمسة اذ يقول :

أمن المنون ورّيبها تتوجّع والدهر ليس بمعتبٍ من يجزّع

٨٥٠/١

٤/١

من معاني (المنون) (الدهر) (وهو الأمد الممدود وسمي منونا لأنه يبلي ويضعف ويذهب بقوة الأشياء) ويبدو لي ان الشاعر أراد باستعماله هذا (المنية) لاستعماله (الهاء) ضمير المؤنثة الغائبة في (ربيها) لتعود على (المنون) واستعمل لفظة (الدهر) للدلالة على الموت أيضاً كما ذكر الأصمعي^(١) فالجزع يكون من الموت الذي لا يرجع الى ما يرضي العاتب .

واستعمل (حدثان الدهر ، ورَبِّ الدهر) للدلالة على (نُوبه وصُروفه وحوادثه) في قوله :

وَالدَّهْرُ لَا يَبْقَى عَلَى حَدَثَانِهِ جَوْنَ السَّرَاةِ لَهُ جَدَائِدُ أَرْبَعٍ

٨٥٨/١٤

١١/١٥

وقوله:

وَالدَّهْرُ لَا يَبْقَى عَلَى حَدَثَانِهِ شَبَبُ أَقْرَنَتِهِ الْكِلَابُ مُرَوَّعٌ

٨٧٦/٤٩

٣٣/٤٩

أراد الشاعر أن يروح عن نفسه ويواسيها لما حلَّ بها من مصائب وهي لاتقصده وحده فبدأ بعرض معارك - استوحاها من واقعه الصحراوي - التي طالما تكون نهايتها الموت للضعيف سواء أكان ثوراً وحشياً أم حماراً وحشياً أم فارساً مقداماً مدججاً بالسلاح الذي لم ينفعه بدفع المنية عنه .

و (الحوادث) وهي (المصائب) التي تفرعه كل يوم لكثرتها فكأنه حصى في سوق تفرعه أقدام الناس عند مرورهم بها اذ يقول:

حَتَّى كَأَنِّي لِلْحَوَادِثِ مَرَوَّةٌ بِصَفَا الْمَشْرِقِ كُلِّ يَوْمٍ تُقَرَّعُ

(1) شرح اشعار المهذليين ٤/١ .

٨٥٧/١١

٩/١٢

وقيل أراد بالمشرق (المصلّى) فأيهما كان السوق أو المصلّى فالمقصود كثرة مرور الناس .

واستعمل (الحنف) الدالة على الموت بصيغة الجمع (حتوف) في قوله :

فَأَبْدَهُنَّ حُتُوفَهُنَّ فَهَارِبٌ بِذِمَائِهِ أَوْ بَارِكٌ مُتَجَعِّعٌ

٨٧٠/٣٣

٢٤/٣٤

أراد حتوف الأتّن التي أصابها الصائد بسهامه فكأنما جمع (الحنّف) ليبين تفرقهن عند القتل باستعماله الفعل (أْبَدَّ) الدال على (اعطاء كل واحد نصيبه على حده وعدم الجمع بين اثنين في كل شيء) ويلاحظ أن الضمير العائد على الاثن للغائبات العاقلات (هن) وكان على الشاعر ان يستعمل ضمير الغائبة المفردة (الهاء) للعودة عليها ولعل ضرورة الشعر تطلبت ذلك . ويلاحظ براعة الصائد تبدو باعطائه كل واحدة منها حتفها بسهم واحد فهو لم يقتل اثنين بسهم ولم يقتل واحدة ويدع الأخرى فاصابته مميتة فيرسل مع كل سهم حتف واحدة منهن أي لا يخطيء التصويب .

- البيئة وما يتعلق بها -

ويشمل هذا المحور محورين فرعيين هما :

١- الأرض وما يتعلق بها.

٢- الحيوان وما يتعلق به .

- الأرض وما يتعلق بها -

يضم هذا المحور الألفاظ الدالة على الأرض وأنواعها مثل (بلاد ، حجاب ، حجرات ، الحَصْب ، الخبت ، روضة ، طريق ، الغيب ، قيعان ، مروة ، قرار) .
البلاد (اسم يقع على الكور) واستعمل الشاعر هذا اللفظ في سياق جوابه عن سؤال (أميمة) عن سبب شحوب جسمه حيث يقول :

فَأَجَبْتُهَا أَمَّا لِجِسْمِي أَنَّهُ أَوْدَى بَنِيَّ مِنَ الْبِلَادِ فَوَدَّعُوا

٨٥٢/٤

٦/٤

فالبلاد عنده الأرض التي يعيش عليها البشر فقد هلك أولاده وودَّعوا هذه الأرض والحياة .

واستعمل لفظة (البطاح) الدالة على (مسيل فيه دُقاق الحصى) أو (تراب الوادي اللين مما جرَّته السيول ونسب اليها (الحَصْب) وأراد ذا حَصْبَاء في سياق وصفه لأتن تمد اعناقها لشرب الماء في نواح ذات ماء بارد اذ يقول :

فَشَرَعْنَ فِي حَجَرَاتٍ عَذِيبٍ بَارِدٍ حَصْبِ الْبَطَاحِ تَغِيبُ فِيهِ الْأَكْرُعُ

٨٦٥/٢٦

٢٠/٢٧

يبدو لي أن الشاعر أراد المعنى الثاني للبطاح لنسبه الحصى اليه في لفظة (حَصْب) فلو كان يريد المعنى الاول لما احتاج الى ذكر هذه اللفظة لأن البطحاء أساساً يدل على المسيل فيه دقاق الحصى. وكلما كان الحصى كثيراً في مسيل الماء كان اكثر صفاء وعذوبة للماء وخالياً من الكدر.

واطلق لفظة (القِيع) مجموعة على (قيعان) للدلالة على (ما استوى من الارض وَصَلْب) وأضاف اليها لفظة (قرار) الدالة على (مستقر الماء فيها) في سياق وصفه للحمار الوحشي وأتانه يمرحان في أرض مخصبة كثر ماؤها اذ يقول :

بِقَرَارٍ قِيعَانَ سَقَاها وَأَبِلُ وَاِذْ فَأَنْجَمَ بُرْهَةً لَا يُقْلَعُ

٨٥٩/١٧

٣٤/١٨

فهذا المطر العظيم القطر كأنه منشق من شدة انصبابه وكثرة مائه .
(والرزون) ترادف (القِيع) في دلالتها على (المكان الصلْب وفيه طمأنينة تمسك الماء) في سياق وصفه أتن الحمار الوحشي حيث يقول :

حَتَّى إِذَا جَزَرَتْ مِيَاهُ رَزْوَنِهِ وَبِأَيِّ حِينٍ مُلَاوَةٍ تَتَقَطَّعُ

٨٦٠/١٩

١٥/٢٠

وحين يجتمع الماء في موضع ويكثر نبتة تكون هي الروضة التي أرادها الشاعر في سياق وصفه للحمار الوحشي وأنته حين يقول :

فَلَبِثْنُ حِينًا يَعْتَلِجْنَ بَرُوضِهِ فيجد حيناً في العلاج وَيَشْمَعُ

٨٥٩/١٨

١٤/١٩

مما تقدم يلاحظ أن الشاعر اهتم بوصف مسيل الماء أو مستقره في الروضة ولا سيما الأرض التي يستقر فيها هذا الماء الذي أمطره الغيث فلصلابة تلك الأرض وخلوها من الرمل الذي يشربه وصف الأرض بأنها (حصب البطاح) أي ذات حصى دقيقة فيعمل ذلك فحص على نقاء الماء وعذوبته الذي يعني الحياة وبقائها لكل الكائنات كما قال سبحانه وتعالى ^(١) " وجعلنا من الماء كل شيء حيّ أفلا يؤمنون "

واستعمل الشاعر لفظة (الخَبْت) للدلالة على (ما أطمأن من الأرض وفيه رمل) في سياق وصفه لثور وحشي أصابه سهم الصائد فسقط لوجهه اذ يقول :

فَكَبَا كَمَا يَكْبُو فَنِيْقُ تَارِزٌ يَا خَبْتِ إِلَّا أَنَّهُ هُوَ أَبْرَعُ

٨٧٦/٤٨

٣٢/٤٨

فهذه الأرض مطمئنة وفيها رمل فلا ماء فيها ومن قال انها خالية من الرمال ^(٢) يبدو لي انه على خطأ .

(١) سورة الانبياء رقمها ٢١ سورة ٣٠ .

(٢) ديوان الفضليات ص ٨٧٦ .

و (الغيب) (الموضع الذي لا يُدري ما وراءه) واستعمله الشاعر مجموعاً على (غيوب) في سياق وصفه لثور وحشي يرمي بطرفه الى الغيوب التي لا يرى ما وراءها اذ يقول :

يَرْمِي بَعَيْنِيهِ الْغُيُوبَ وَطَرَفُهُ مَغْضٍ يُصَدِّقُ طَرَفُهُ مَا يَسْمَعُ

٨٧٢/٣٨

٢٧/٣٩

وجمع بين (السَّوَاء) وهي (الأكمة) و (الطريق) وهي (السبيل) في سياق وصفه لحمار وحشي يفرق اتنه من على أكمة فعارضه طريق واسع اذ يقول :

فَافْتَتْنَهُنَّ مِنَ السَّوَاءِ وَمَاؤُهُ بَثْرُوعَائِدُهُ طَرِيقٌ مَهْيَعُ

٨٦١/٢١

١٦/٢٢

ومن المحتمل ان تكون لفظة (السواء) في استعمال الشاعر دالة على (الارض المستوية الممتدة) فلامتداد هذه الارض كان طرده لأتته فنونا من الطرد لا يمنعه غيب ولا أكمة أو حرة .

ولابد ان نذكر ألفاظاً تتعلق بالأرض مثل ألفاظ النبات حيث استعمل أبو ذؤيب في عينيته ثلاثة ألفاظ دالة على نباتات صحراوية هي (الأرطى ، والشوك ، والجميم) .

فهذا الثور الوحشي يلجأ الى (شجر ينبت عصياً من أصل واحد يطول قدر قامة وله نور ورائحته طيبة) هو (الأرطى) اذا آذته الريح الباردة الشديدة وأصابه المطر اذ يقول :

وَيَعُودُ بِالْأَرْطَى إِذَا مَا شَفَّهُ قَطْرُ وَرَاحَتِهِ بَلِيلٌ زَعْرَعُ

٨٧١/٣٧

٢٧/٣٨

والشوك اكثر ايداء للعين اذا أصابها سُمِلَتْ اذ يقول :

فَالْعَيْنُ بَعْدَهُمْ كَأَنَّ حِدَاقَهَا سُمِلَتْ بِشَوْكٍ فَهِيَ عَوْرُ تَدْمَعُ

٨٥٦/١٠

٩ / ١١

و (الجميم) (النبت الكثير) واستعمله الشاعر في سياق وصفه لحمار وحشي وأتانه يمرحان في مكان مخصب اذ يقول :

أَكَلَ الْجَمِيمَ وَطَاوَعَتْهُ سَمَحَجٌ مِثْلُ الْقَنَاقَةِ وَأَزَعَلَتْهُ الْأَمْرُغُ

٨٥٩/١٦

١٣/١٧

ذكر الأصمعي ^(١) أن الجميم (النبت أول ما يخرج ، ولا يستمكن منه الحمار) وما جاء في البيت يخالف قول الأصمعي ويبدو لي ان الجميم كما

قليل ^(٢) ((نبت أول ما يخرج ويُستمكن منه)) .

- الحيوان وما يتعلق به -

عينية أبي ذؤيب الهذلي كغيرها من المطولات الجاهلية بما فيها المعلقات ولامية العرب للشنفرى ^(٣) من حيث كثرة ألفاظ الحيوان وما يتعلق به فيكون محور ألفاظه من المحاور الاساسية التي تضم ألفاظ هذه المطولة وغيرها من المطولات الاخرى .

(الخيل) (جماعة الأفراس لا واحد له من لفظه) استعمل أبو ذؤيب هذه اللفظة في سياق وصفه الفارس اللابس الدرع وهو ينازل كميًا آخر لا يقل عنه في الجرأة والشجاعة اذ يقول :

(1) شرح اشعار الهذليين ١٢/١

(2) ديوان الفضليات ٨٥٩ .

(3) راجع معجم لغة دواوين شعراء المعلقات العشر تأصيلًا ودلالة وصرها . د. ندى عبد الرحمن الشايع مكتبة لبنان ناشرون ، بيروت ، ط ١ ١٩٩٣ ص ومعجم عمرو بن قميئة تأصيلًا ودلالة وصرها . د. ندى عبد الرحمن الشايع ، مكتبة لبنان ناشرون ، بيروت ط ١ ١٩٩٥ ص ، لامية العرب للشنفرى دراسة دلالية ، ص ٣٤ .

فَتَنَادِيَا وَتَوَاقَفْتَ خِيَلَاهُمَا وَكِلَاهُمَا بَطَلُ اللَّقَاءِ مُخَدَّعٌ

٨٨٠/٥٧

٣٨/٥٧

لاحظ ان الشاعر استعمل لفظة (الخيل) الدالة على الجمع وأراد بها المفرد
لانه يصف فارسين اثنين تناديا للمبارزة بعد أن يترجلاً .

واستغنى عن ذكر الفرس بذكر صفة من صفاتها للدلالة عليها وهي (
خوصاء) أي (غائرة العين) في سياق وصفه لهذا الفارس الشجاع الذي تعدو به هذه
الفرس اذ يقول :

تَعْدُو بِهِ خَوْصَاءُ يَفْصِمُ جَرِيهَا حَلَقَ الرَّحَالَةِ فَهِيَ رِخْوُ تَمَرَعُ

٨٧٧/٥١

٣٣/٥١

هذه الفرس سريعة العدو وشديدته فتزفر فتكسر حلق الحزام . يلاحظ في
البيت السابق وما جاء بعده من أبيات ان (الفرس) مؤنثة عند الشاعر لاستعماله
ضمائر تعود على المؤنث وكلمة (الفرس) تؤنث وتذكر اذ يقول :

قَصَرَ الصَّبُوحَ لَهَا فَشَرَجَ لَحْمَهَا بِالنَّيِّ فَهِيَ تَثْوُخُ فِيهَا الإِصْبَعُ

٨٧٨/٥٢

٣٣/٥٢

أي أن صاحبها حبس اللبن لها ليسقيها فشرج ذلك لحمها ثم يقول :
تَأْبَى بِدِرَّتِهَا إِذَا مَا اسْتُغْضِبَتْ إِلَّا الْحَمِيمَ فَأَنَّهُ يَتَبَضَّعُ

٨٧٩/٥٤

٣٤/٥٣

والفرس عنده مذكر حين وصفه (نهش الحشاش) (أي خفيف القوائم عند
العدو) في سياق وصفه للكمي اذ يقول :

يَعْدُو بِهِ نَهْشُ الْحَشَّاشِ كَأَنَّهُ صَدَعٌ سَلِيمٌ رَجْعُهُ لَا يَظْلَعُ

٨٨٠/٥٦

٣٧/٥٦

(الفنيق) (هو الفحل المُكْرَم من الابل الذي لا يُرْكَب ولا يُهان لكرامته عليهم) استعمل الشاعر هذا اللفظ بعد أن ألحقه بصفة (التارز) وهو (اليابس) اذ يقول :

فَكَبًا كَمَا يَكْبُو فَنِيْقٌ تَارِزٌ بِالْخَبْتِ إِلَّا أَنَّهُ هُوَ أَبْرَعُ

٨٧٦/٤٨

٣٢/٤٨

يصف الشاعر ثوراً أصابه سهم الصائد فشبهه بهذا الفنيق ويكون بهذا التشبيه جَرَدَ هذا النوع من الابل من كرامته حين وصف سقوطه وضعفه ولعله أراد أن يصف فنيقاً ميتاً وهذا خلاف ما جاء في قول الاعشى حين شبه الناقة التي تسير الذميل (وهو السير اللَّيِّن أو السير الذي فوق العنق) بالفنيق لكرامته اذ يقول :^(١)

وَكُلُّ ذَمُولٍ كَالْفَنِيْقِ وَقَيْنَةٍ تَجْرُ إِلَى الْحَانُوتِ بُرْدًا أَمْسَهُمَا

واطلق صفات اراد بها الحمار الوحشي مثل (جُرْشَع ، جَوْن السراة ، صَخِب الشوارب ، عِبْل الشوى ، صاعدي) .

وصف الشاعر الحمار الوحشي الذي يقود الأتن ويتقدمها بانه طويل عظيم الصدر باستعماله لفظة (جُرْشَع) للدلالة عليه اذ يقول :

فَنَكَّرْتُهُ وَنَفَرَنْ وَامْتَرَسَتْ بِهِ سَطْعَاءُ هَادِيَةٍ وَهَادٍ جُرْشُعُ

٨٦٧/٢٩

٢٢/٣٠

ومن بين هذه الأتن لزقت به أتان جسيمة طويلة العُنُق أي انها تضاهيه في الصفات فكانا أولَيْن لما فزعا من الصائد .

وفي موضع آخر وصف هذا الحمار الوحشي بانه (جَوْن السراة) أي (أسود الظهر) دون أن يذكر الموصوف فاستغنى بالصفة للدلالة عليه اذ يقول :

(١) ديوان الاعشى ص ٢٩٩

والدهرُ لا يَبْقَى عَلَى حَدَثَانِهِ جَوْنُ السَّرَاةِ لَهُ جَدَائِدُ أَرْبَعُ

٨٥٨/١٤

١١/١٥

لاحظ أن ما يؤكد ان (جون السراة) مقصود به الحمار هو المصاحب اللغوي وهو لفظة (جدائد) جمع (الجدود) وهي (الأتان التي خَفَّتْ ألبانها) فالشاعر يهَوِّن على نفسه مصيبتَه بفقد أبنائه بما يحل بهذا الحمار وأتته من نوائب الدهر ومصائبه .

ووصف هذا الحمار بانه (صَخْبُ الشوارب) أي انه كثير النهيق (فالشوارب) (مجاري الماء في الحلق) حيث يقول في السياق السابق نفسه :

صَخْبُ الشَّوَارِبِ لَا يَزَالُ كَانَهُ عَبْدُ لَالٍ أَبِي رَيْعَةٍ مُسْبَعُ

٨٥٨/١٥

١١/١٥

ووصف ثوراً مسنا بانه غليظ القوائم (عِبْلُ الشوي) وكثيراً ما يستعمل هذا الوصف للفرس كقول امرئ القيس :^(١)

تَحْتِي أَقْبُ مُلْمَلَمٌ عِبْلُ الشَّوَى وَيَزِلُّ عَنْ صَهَوَاتِهِ اللَّبْدُ

وقوله عنتره :^(٢)

وحشيتي سَرَجٌ عَلَى عِبْلِ الشَّوَى نَهْدٍ مَرَاكُلُهُ نَبِيلُ الْمَحْزَمِ

في سياق بيان نوائب الدهر ومصائبه التي لا تترك أحداً حتى الثور المسن اذ يقول:

يَنْهَشْنَهُ وَيَذْبَحْنَهُ وَيَحْتَمِي عِبْلُ الشَّوَى بِالطَّرْتِينِ مَوْلَعُ

٨٧٣/٤١

(1) ديوان امرئ القيس ، تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم ، دار المعارف ، القاهرة ، ط٤ ، ١٩٦٤ ص

٢٣٤ .

(2) ديوان عنتره ص ١٩٩

٢٩/٤٣

يلاحظ ان الخوف والفرع من الصائد وكلايه التي تناولت لحم هذا الثور المسن جعلاً قوائمه غليظة قوية لتمكنه من الثبات والدفاع عن نفسه والهرب من النهاية المفزعة . وكان الشاعر قد استغنى عن ذكر اسم الثور يذكر صفة من صفاته للدلالة عليه وهي (الشَّبَب) الدالة على (المُسَن من الثيران) في قوله :

وَالدَّهْرُ لَا يَبْقَى عَلَى حَدَّثَانِهِ شَبَبٌ أَفْزَتْهُ الْكِلَابُ مُرَوِّعٌ

٨٧١/٣٥

٢٦/٣٦

ومن صفات الأتن التي ذكرها الشاعر واستغنى بها عن ذكر اسمها للدلالة عليها هي (سمحج ، عائط ، نجود) فاستعمل الشاعر لفظة (سمحج) للدلالة على (الأتان الطويلة على وجه الأرض) في سياق ذكره للحمار الوحشي الذي يقود أتنه وهو في قمة النشاط لخصوبة المكان ووفرة الماء اذ يقول :

أَكَلَ الْجَمِيمَ وَطَاوَعَتْهُ سَمَحَجٌ مِثْلُ الْقَنَاقَةِ وَأَزْعَلَتْهُ الْأُمُرُ

٨٥٩/١٦

١٣/١٧

فالحمار الوحشي لا يرافق الا الاتان الجسيمة الطويلة العنق السطعاء كما وصفها الشاعر ووصفها بانها (نجود) أي (مرتفعة عظيمة) و (عائط) أي (لم تحمل سنين من غير عُقَر) في سياق وصفه للصيد اذ يقول :

فَرَمَى فَأَنْفَذَ مِنْ نَجُودٍ عَائِطٍ سَهْمًا فَخَرَّ وَرَيْشُهُ مُتَصَمِّعٌ

٨٦٨/٣٠

٢٢/٣١

يبدو لي ان وصف الأتان بانها (نجود) و (عائط) مراد به قوة وعظمة هذه الأتان لان عدم الحمل يبقي على قوتها .
والكلاب لها نصيب مهم في الصيد فهي مرافقة للصياد وحتى ان الشاعر سمى الصائد بـ (رب الكلاب) في قوله :

فَبَدَأَ لَهُ رَبُّ الْكِلَابِ بِكَفِّهِ بِيضُ رَهَابٍ رِيْشُهُنَّ مَقْرَعُ

٨٧٥/٤٦

٣١/٤٦

وهذه الكلاب اعتادت على الصيد ولها نصيب فعال فيه فهن ضاريات يبعثن الفرع في الحيوانات كما في قول أبي ذؤيب :

وَالدَّهْرُ لَا يَبْقَى عَلَى حَدَثَانِهِ شَبَبٌ أَفْرَزَتْهُ الْكِلَابُ مَرْوَعُ

٨٧١/٣٥

٢٦/٣٦

وقوله :

شَعَفَ الْكِلَابُ الضَّارِيَاتُ فُوَادَهُ فَإِذَا رَأَى الصُّبْحَ الْمَصْدَقَ يَفْرَعُ

٨٧١/٣٦

٢٦/٣٧

وقوله :

فَاهْتَاجَ مِنْ فَرْعٍ وَسَدَّ فُرُوجَهُ غُبُرٌ ضَوَارٍ وَافِيَانِ وَأَجْدَعُ

٨٧٣/٤٠

لاحظ الأفعال (أفَرَّ ، شعفَ ، هتاج) الدالة على شدة الفرع قد صاحبت لفظة (الكلاب) ولاحظ ان الشاعر استعمل صفة (غُبُر) للدلالة على الكلاب وكثيراً ما تطلق على الذئاب وربما لشراسة هذه الكلاب ووحشيتها وانقضاضها على الصيد حق لها ان تشبه بالذئاب ولعل أصواتها التي تسبقها هي التي تنذر الحيوانات بالخطر الذي يحرق بها لانها تسهل على الصائد عملية الصيد وتهيئه له كما يقول أبو ذؤيب في صيد ثور وحشي مسن :

يَنْهَشْنَهُ وَيَذْبَهُنَّ وَيَحْتَمِي عَبْلُ الشَّوَى بِالطَّرْتِينَ مُوَلَّعُ

٨٧٣/٤١

٢٩/٤٣

ثم يأتي دور الصائد ليكمل على الصيد ويخلص كلابه من الفريسة التي
تحاول الدفاع عن نفسها قبل ان تكبو حيث يقول :

فَبَدَا لَهُ رَبُّ الْكِلَابِ بِكَفِّهِ بِيضُ رَهَابٍ رِيَشُهُنَّ مَقَرَّعُ

٨٧٥/٤٦

٣١/٤٦

فَرَمَى لِيُنْقِذَ فَرَّهَا فَهَوَى لَهُ سَهْمٌ فَأَنْفَذَ طُرَّتِيهِ الْمُنْزَعُ

٨٧٦/٤٧

٣١/٤٧

الخاتمة

- ١- يلاحظ ان القصيدة خالية من الألفاظ الحضارية الخاصة بالدين الجديد - الاسلام - الذي أدركه الشاعر .
- ٢- وهو يرثي ابنائه لم يذكر أن الله سبحانه وتعالى هو الذي يتوفى الأنفس وكان على اعتقاد أهل الجاهلية بفائدة التمايم والعود في دفع المكاره والشرور عن الانسان .
- ٣- برعَ الشاعر في انتقاله من رثاء ابنائه الى وصف حدثان الدهر في حيوانات معروفة في البيئة الصحراوية كالحمار الوحشي وأتته والثور المسن وما يلحق بهما من أذى لتسلط كلاب الصياد عليهم فيصور صورة حية لمعركة بين تلك الكلاب وهذه الحيوانات تنتهي بسهام يصوبها الصائد نحوها ليضع نهاية حتمية لذلك الصيد .
- ٤- تكاد محاور ألفاظ القصيدة تتركز في السلاح والحيوان والانسان والأرض . ولا تتعدى ألفاظ المحاور الآخر اللفظ الواحد أو اللفظين كمحور الحلي والملبس والمأكل وحتى القرابة فلا ذكر للعشيرة والأهل .
- ٥- يبدو لي ان ألفاظ هذه القصيدة ومحاور ألفاظها لا تختلف عن لامية العرب للشنفرى خلافا لشعر شعراء المعلقات العشر الذي تنوعت ألفاظه وتشكلت محاور تمثل واقع الحياة الاجتماعية التي يحياها العرب قبل الاسلام في تنوع الملبس والمسكن والمأكل لمشرب وغيرها .

المصادر والمراجع

القرآن الكريم

- ١- أساس البلاغة ، جار الله أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري ، دار صادر ، بيروت ، ١٩٦٥ .
- ٢- تاج العروس من جواهر القاموس ، محب الدين الزبيدي ، دار ليبيا للنشر والتوزيع ، بنغازي ، ١٩٦٦ .
- ٣- تاريخ الأدب العربي ، عمر فروخ ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ١٩٨٤ .
- ٤- ديوان الأعشى الكبير ، ميمون بن قيس ، تحقيق م. محمد حسين ، مكتبة الآداب ، القاهرة ، ١٩٥٠ .
- ٥- ديوان امرئ القيس ، تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم ، دار المعارف ، القاهرة ، ط ٤ ، ١٩٦٤ .
- ٦- ديوان زهير بن أبي سلمى ، صنعة الامام أبي العباس ثعلب نسخه مصورة عن طبعة دار الكتب ، الدار القومية للطباعة والنشر ، القاهرة ، ١٩٦٤ .
- ٧- ديوان عنتره ، تحقيق سعيد مولوي ، المكتب الاسلامي ، ١٩٧٠ .
- ٨- ديوان المفضليات ، أبو العباس المفضل بن محمد الضبي مع شرح لأبي محمد القاسم الانباري ، تحقيق كارلوس يعقوب لایل ، مطبعة الالباء اليسوعيين ، بيروت ، ١٩٢٠ .
- ٩- ديوان النابغة الذبياني ، تحقيق محمد أبي الفضل ابراهيم ، دار المعارف ، القاهرة ، د. ت .
- ١٠- طبقات النحويين واللفويين ، أبو بكر الزبيدي ، تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم ، ١٩٥٤ .
- ١١- كتاب شرح أبيات سيبويه ، تأليف أبي جعفر أحمد بن محمد النحاس ، تحقيق زهير غازي زاهد ، ط الاولى ، النجف ، مطبعة الغري الحديثة ، ١٩٧٤ .

- ١٢- كتاب شرح أشعار الهذليين ، صنعة أبي سعيد الحسن ابن الحسين السكري ، تحقيق عبد الستار احمد فراج ومحمود محمد شاكر ، مكتبة دار العروبة ، القاهرة ، د. ت .
- ١٣- لامية العرب للشنفرى دراسة دلالية ، د. ندى عبد الرحمن الشايع ، بيروت ، ط١ ، ٢٠٠٨ .
- ١٤- مصادر الشعر الجاهلي وقيمتها التاريخية ، د. ناصر الدين الأسد ، دار المعارف ، مصر ، ١٩٥٦ .
- ١٥- معجم الادباء ، ياقوت الحموي ، ط الأخيرة ، دار احياء التراث العربي ، بيروت ، د. ت .
- ١٦- معجم ألفاظ الحياة الاجتماعية في دواوين شعراء المعلقة العشر ، د. ندى عبد الرحمن يوسف الشايع ، مكتبة لبنان ، ط الاولى ، ١٩٩١ .
- ١٧- معجم عمرو بن قميئة تأصيلاً ودلالةً وصرفاً ، د. ندى عبد الرحمن الشايع ، مكتبة لبنان ناشرون ، بيروت ، ١٩٩٥ .
- ١٨- معجم لغة دواوين شعراء المعلقة العشر تأصيلاً ودلالةً وصرفاً ، د. ندى عبد الرحمن يوسف الشايع ، مكتبة لبنان ناشرون ، بيروت ، ط الاولى ، ١٩٩٣ .